القسوة المفرطة عند ملوك الدولة الاشورية الحديثة

٩١١- ٦٠٩ ق.م

ا.م.د. محمد فهد القيسي

كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة واسط

Mfahahd@uowasit.edu.iq

٠٠٩٦٤٧٧٠٦٩٢٥٣٠٨

Neo- Assyrian Kings' Excessive Cruelty

Mohammed Fahad Hussein

College of Education for Humanities/ Wasit University

القسوة المفرطة عند ملوك الدولة الاشورية الحديثة ٩١١- ٦٠٩ ق.م

ا.م.د. محمد فهد القيسي

كلمات مفتاحية : الاشوريون – حروب –ابادة جماعية –انتهاك حقوق الانسان –تعذيب

المستخلص

تُعد الدولة الاشورية وخاصة في عصرها الحديث (٩١١- ٦٠٩ ق.م) من اعظم الامبراطوريات في التاريخ القديم ، وكان من مستلزمات نشوء هذه الامبراطورية بطبيعة الحال هو امتلاك القوة والقدرة كي تحافظ على هذه الرقعة الجغرافية الواسعة التي امتدت من غرب ايران شرقا الى مصر غربا ، وقد اخذ الباحثون على الاشوريين انهم كانوا قساة ويعمدون الى التخريب والتدمير اثناء حروبهم – مع العلم ان اغلب هذه الحروب بما تحملها من قسوة لم تخرج عن " قواعد الاشتباك " المعروفة في تلك المدة من قتل ونهب وسلب وتهجير قسري– ولكن جاء هذا البحث في مشكلته (هدفه) ليجيب عن عدد من التساؤلات وهي:

١. هل كان الاشوريون قساة بطبعهم واستعدادهم لذلك؟
٢. هل كان للقسوة لديهم مبررات معقولة ومقبولة ؟
٣. كيف نفرق بين القسوة المفرطة ومستلزمات المعارك والحروب ؟
٤. كيف يمكن لنا تصنيف وتبويب اساليب القسوة المفرطة عند ملوك الدولة الاشورية الحديثة؟

خلص البحث في نتائجه الى ان القسوة المفرطة كان لها حضور واضح عند ملوك الدولة الاشورية الحديثة ، علما انها لم تكن السياسة الوحيدة التي انتهجها الملوك الاشوريين ، فضلا عن ذلك فقد تم معرفة ان الملك اشور بانيبال (٦٦٩- ٦٣٧ ق.م) كان من اكثر ملوك الدولة الاشورية الذين وصلتنا منه نصوص للقسوة المفرطة ضد اعدائه .

المقدمة

من الامور التي تعطي اهمية لهذا البحث هو معرفة كيف كانت تدار سياسات الحروب في التاريخ القديم – وتحديدا في العصر الاشوري الحديث – وماهي الحدود التي يمكن تصورها للقسوة والعنف الذي يمكن ان يتعرض له الخصم عند الانتصار عليه ، لقد عمد البحث في فرضيته الى التفريق بين مظاهر القسوة المفرطة عند الاشوريين وبين مظاهر القوة ومستلزمات المعارك في ذلك الوقت ، فضلا عن ذلك فقد اتجه البحث في بعض الفقرات الى توضيح ما كان يتميز به الاشوريين من تسامح والتي تجعل في بعض الاحيان القسوة بعيدة عنهم ، كما عمد البحث الى توضيح اسباب استخدام القسوة المفرطة والعمل على تحليل المعلومات ذات الصلة للوصول الى ادق التفاصيل فيما يخص ذلك الجانب، كما ان هناك امر مهم يتعلق بموضوع البحث وهو ان القسوة المفرطة المعني بها البحث هي التي كانت موجهة نحو البشر بشكل مباشر او غير مباشر ، اما القسوة المفرطة تجاه المنشئات العمرانية فلا يشملها موضوع البحث هذا .

كان من الدراسات السابقة التي لها علاقة بموضوع البحث هو البحث المعنون :" ملامح الابادة الجماعية عند الملوك الاشوريين (١١١٤- ٩١١ ق.م) ل ا.م.د. سعد سلمان فهد و م.د. فاطمة عباس المعموري ، وقد امتاز

بحثنا عن هذا البحث انه تناول لحقبة تلت حقبة موضوع البحث المشار اليه وهي (٩١١- ٦٠٩ ق.م) ، فضلا عن احاطة بحثنا بمظاهر قسوة مفرطة اخرى غير الابادة الجماعية التي كانت محور البحث الوحيد المشار اليه .

وفيما يخص منهج البحث العلمي الذي استخدمه البحث فقد كان المنهج الوصفي فضلا عن المنهج التاريخي والمنهج التحليلي في معالجته لموضوعة البحث .

كما تضمنت خطة البحث: تمهيدا تناول فيه تعريفا موجزا بالقسوة المفرطة والدولة الاشورية الحديثة ، فضلا عن مبحثين ؛ الاول : القسوة المفرطة عند ملوك الدولة الاشورية الحديثة (٩١١- ٧٢٢ ق.م) والذي تضمن عدد من الفقرات حسب كل ملك منها . والمبحث الثاني : القسوة المفرطة عند ملوك السلالة السرجونية (٧٢٢- ٦٠٩ ق.م) الذي تضمن فقرات حسب ملوك هذه السلالة ، وجاءت الاستنتاجات لتوضح ابرز الافكار التي يمكن استخلاصها من البحث ، فضلا عن ملحق تضمن جدولا وضح فيه حالات القسوة المفرطة عند ملوك الدولة الاشورية وضحايا هذه القسوة وكيفيتها .

اعتمد البحث على عدد من المصادر والمراجع ذات العلاقة بالموضوع كان منها المصادر الاجنبية :

Luckenbill, D, D, Ancient Records of Assyria and Babylonian, Vol. I, II, New York, 1927.

وطبعته الاخرى :

Luckenbill, D, D, Ancient Records of Assyria and Babylonian, Vol. I, II, London, 1968 .

وكتاب :

Grayson, A. K . Assyrian Royal inscriptions ، vol. 2 , Wiesbaden , 1976 .

فضلا عن المصادر العربية والمعربة مثل : كتاب قوة اشور لهاري ساكز ، واشورناصربال الثاني لشيبان ثابت الراوي، واسرحدون لاحمد حبيب الفتلاوي واشور بانيبال لرياض عبد الرحمن الدوري .

Abstract

Assyrian state , in its modern age from (911 -609 B.C), is considered as one at the greatest empire in the ancient history , and it was one of necessities to establish this Empire by the wars and fighting in order to get this geographical extension from western Iran towards east and western Egypt . what was known about Assyrians as stiff (rigid) and used to destroy and ruin during their war despite the fact that all rigid war at that time were not out of the conflicting rules such as killing and robing and forcing people to leave their homes . this research is intended to answer these questions :

1 – Were the Assyrians rigid due to their nature and willingness for that ?

2 – Was their cruelty with sensible and acceptable excuses?

This research is built on the hypothesis of distinguishing between excessive cruelty of wars of that period . Moreover , the research goes towards some steps to clearly what make Assyrian distinct in forgiveness which make in some time crudity far from them .The research tries to explore the reasons behind the excessive cruelty and then analyzing data related to it for approaching the exact details oncoming this side

It has been concluded that the crudity is not the only policy of the Assyrian kings behaviors furthermore , It has been known that the king Ahsur-Banibal(669 - 637- B.C) was the most Assyrian kings whom the recorded text reveal that he was cruel with his enemy

The research , in dealing with topic ,uses the descriptive style (method) as well as the historical method .

The research plan include an introduction to introduce ,by a summarized way , the definition of crudity and the Assyrian modern state as well as first point : the cruelty of the Assyrian modern state (911- 722 B.C) and the second point : the crudity of the Sarjuan kings(722- 609 B.C) followed by the essential ideas that have been concluded from the study .

مختصرات المصادر

CAD : The Assyrian Dictionary of the oriental Institute of the university of Chicago, 1959.

CAH: The Cambridge Ancient History,Vol.3, London , 1976.

التمهيد

لغرض فهم ادق واعمق لموضوع البحث وحتى نحصر حدود البحث في موضوعه دون الوقوع في الحشو والزيادة نستعرض تمهيدا مختصرا يتضمن مفردتي العنوان وهما :القسوة – المملكة الاشورية الحديثة .

القسوة المفرطة : القسوة هي "الغِلَظُة والصَّلاَبةُ والشدَّةُ " (ابن منظور ، ٢٠٠٣، ١٠٧) ، والافراط هو الاسراف وتجاوز الحد المعقول في الشيء (ابن منظور ، ٢٠٠٣، ١٤٦) ، وقد و,ردت القسوة في اللغة السومرية بصيغة

" NAM.KALA.GA " وفي الاكدية وردت بصيغة " Dannūtu" وتعطي معنى القسوة ايضا .

(CAD,1959,99)

الدولة الاشورية الحديثة: هي مملكة نشأت في بلاد ما بين النهرين استمرت منذ سنة ٩١١ ق.م. وحتى سنة ٦٠٩ ق.م. وقد صارت أقوى إمبراطورية في العالم القديم في حينها بعد أن تمكنت من الانتصار على الممالك المعاصرة لها ، واستمرت هذه الإمبراطورية حتى سقوط عاصمتها نينوى بيد البابليين والميديين سنة ٦١٢ ق.م . (ساكز ، ١٩٩٩ ، ١٢٥)

المبحث الاول : القسوة المفرطة عند ملوك الدولة الاشورية الحديثة (١١- ٧٢٥ ق.م)

حكم في هذه المدة (١١) ملكا تفاوتت مدد حكمهم ، (باقر ، ١٩٨٦، ٦٣٧) ، وكمية النصوص التي وصلتنا من كل واحد منهم ، وفيما يتعلق بمظاهر القسوة المفرطة لهم فقد جاءت كالاتي :

اولا- الملك اشور ناصر بال الثاني(٨٨٣- ٨٥٨ ق.م)

فيما يتعلق الامر بمظاهر القسوة المفرطة عند هذا الملك يرد في حملته ضد زاموا [١] ما نصه :

" قتلت (٨٠٠) من رجالهم وقطعت رؤوسهم بالسيف والبقية احرقتهم بالنار ، شبابهم و شاباتهم احرقتهم بالنار" .

(Luckenbill, 1968,155)

وهنا نلحظ ان القسوة تمثلت بالاتي :

١. قتل(٨٠٠) اسير – اذ تم الاستدلال على انهم اسرى من خلال النص الذي قرن عملية القتل بقطع الرؤوس وهذا يدل على انهم كانوا في وضع

يسمح بقطع رؤوسهم دون مقاومة – وبعد عملية القتل تم قطع رؤوسهم بالسيف، اي ان عملية القتل تضمنت حالة قسوة واضحة ، فكان من الممكن الاكتفاء بقتلهم بشكل تقليدي وهو ضربهم بالسيوف ، لكن العملية جرت عن طريق قطع رؤوسهم بالسيف بعد عملية القتل . وهذا العمل لا يتم الابعد التمكن منهم واسرهم اي ان عملية قطع الرؤوس جاءت متأخرة عن عملية القتل ، وهذا يمثل صورة واضحة من صور القسوة المفرطة ، علما ان هذا الامر يستتبع عدد من الاسئلة وهي كيف تمت عملية قطع الرؤوس؟ هل كانت تجري بشكل مباشر اي ان كل شخص يقتل يقطع راسه مباشرة ، وهذا امر مستبعد في حالة المواجهة الحربية . ام انه تم قطع رؤوسهم بشكل جماعي بعد عملية الاسر ؟ وهذا امر وارد ومنطقي جدا . وما هو مصير الرؤوس المقطوعة ؟ هل تم نقلها الى مناطق اخرى لبيان مقدار قسوة الاشوريين وبث الرعب في نفوس الاعداء؟ ام انها علقت على اماكن عامة في المدينة ؟

٢. احراق قسم من الرجال بالنار .
٣. احراق الشباب بالنار.
٤. احراق النساء الشابات بالنار .

ومن خلال النقاط الثلاثة الاخيرة وهي عملية احراق الاشخاص بالنار نلحظ ان هؤلاء الاسرى تم فرزهم الى فئات وهي : الرجال والشباب والشابات ، وان عملية الاحراق جرت على قسم من الرجال وجميع الشباب والشابات ، وهنا يطرح تساؤل مهم : وهو هل ان عملية الاحراق جاءت بعد عملية القتل ام ان عملية الاحراق كانت سببا في قتل هؤلاء ؟ ان قراءة النص بشكل ظاهري تدل على ان عملية الاحراق كانت سببا في قتلهم. والسؤال الاخر : لماذا تم فرز

هؤلاء الى فئات قبل قتلهم ؟ وللاجابة عليه نجد انه وفي رغبة دفينة للانتقام من هؤلاء الاشخاص ، فقد عمد الملك الاشوري الى فرز الاسرى الى فئات والتركيز على قتل الشباب والشابات بطريقة مفرطة بالقسوة حتى يظهر رغبته في قطع نسل هؤلاء القوم الذين حاربوا الدولة الاشورية – ذلك انهم هم المؤهلين لتكوين اسر وانجاب ابناء – .

ويذكر النص ان السبب الذي دفع الملك الاشوري لمحاربتهم هو : " لانهم حنثوا بقسم الإله اشور" .

(Luckenbill, 1968 ,155) ، وفي ذلك اضافة للبعد الديني في هذه الحرب .

ومن صور القسوة المفرطة المتعلقة بالملك اشور ناصر بال الثاني انه كان يعمد بعد الاستيلاء على المدينة وانتهاء العمليات العسكرية فيها الى قتل سكانها والاستيلاء على ممتلكاتهم حيث يرد :

" و استوليت على المدن التي تقع في جبل نصير و قتلت سكانها و استوليت على ممتلكاتهم و اخذت غنائمهم " .

(الراوي، ١٩٨٦، ٧٦)

وهنا نجد ان صورة القسوة المفرطة تتمثل بقتل سكان المدينة ، وقد يُرد على هذه الفكرة بانه امر طبيعي وهو من مستلزمات الحروب في ذلك الوقت ، فنقول ان ذلك يستدعي وجود قسوة واضحة وذلك بعد تعرض اناس عزل للقتل وهم ليسوا طرفاً في عملية عسكرية او عمليات قتالية منظمة ، فعملية القتل لم تكن في سياق العمليات العسكرية الطبيعية بل جاءت بعد انتصار هذا الملك وفتحه للمدينة ، و يمكن استثناء اخذ الغنائم فأنها من مستلزمات الحروب

آنذاك ، لكن قتل الناس العزل و الاسرى الذين لا يشكلون خطرا حقيقيا على الجيش الاشوري فهذه قسوة واضحة جداً.

وكان من أسباب اتباع القسوة المفرطة في هذا الموضع هو :

١ – منع قيام التمردات في المناطق التابعة للدولة الاشورية .

٢ – تخويف الأقوام الأخرين وبث الرعب في نفوسهم في حالة تفكيرهم بالقيام باسلوب التمرد او المواجهة ضد الدولة الاشورية.

ومن صور القسوة المفرطة التي اتبعها الملك اشور ناصربال الثاني ما ورد في هذا النص :

" بوبو ابن بويا حاكم مدينة نيشتون[٢]

جلبته الى مدينة اربيل و سلخت جلده و علقته على جدران المدينة " .

(Grayson , 1976, 122)

وهنا نجد مظاهر القسوة المفرطة تتمثل بالاتي :

١. سلخ جلد احد الحكام

٢. تعليق جثته على جدران المدينة

ولنا ان نتصور مقدار القسوة التي تعرض لها هذا الحاكم ، ولعل من الاسباب التي تقف وراء هكذا قسوة هو حالة الانتقام منه نتيجة مواجهته للدولة الاشورية ومحاربتها ، ورغبة الملك الاشوري في جعله عبرة لغيره من الحكام ممن قد يحذو حذوه في ذلك ، فضلا عن عملية نقله الى مدينة اشورية وتعليقه على جدرانها كان الهدف من وراءه ايصال رسالة الى سكان اشور ان الملك الاشوري قادر على سحق التمردات وكسب المعارك والفوز على مناوئيه من الحكام الاخرين .

و فيما يخص مظاهر القسوة المفرطة الاخرى المتعلقة بهذا الملك يذكر في احد كتاباته :

" و لم اترك احد يصلح ان يكون رهينه ، خوليا حاكمها اسرته حياً و سلخت جلده و علقته على جدران المدينة دامداموسا " [٣].

(Luckenbill, 1986,145)

ومن هذا النص يمكن توضيح صور القسوة المفرطة فيه كالاتي :

١ – يذكر الملك انه لم يترك احد يصلح ان يكون رهينة و هو بذلك يتحدث عن الاشخاص الذين بقوا على قيد الحياة و لكن في الوقت نفسه فقدوا الأهلية ان يكونوا " ذوي قيمة " ، وربما يعود هذا الامر اما انهم اصبحوا معدمين تماماً او انهم اعيقوا أعاقات كبيرة جداً اخرجتهم من حدود القيمة الاعتبارية و الاجتماعية والاقتصادية .

٢ – سلخ جلد حاكم المدينة ، و هنا لا يمكن الجزم هل ان هذا السلخ معنى مجازي ام انه فعلي؟ و في كلا الحالتين فهذا التعبير يدل بوضوح على قسوة متناهيه تعرض لها هذا الشخص.

٣ – تعليق حاكم المدينة على جدرانها و هذا التعليق تم ليدل على كيفية الاذلال و التحقير و العرض على الاخرين باستهانة و استخفاف فضلا عن تخويف الاخرين ومنعهم عن القيام باي فعل ضد الدولة الاشورية .

ومن مظاهر القسوة المفرطة لهذا الملك هو حالة تعقب جنود الاعداء الفارين من المعركة و قتلهم ، اذ انه في الظروف الطبيعية من الممكن اسرهم و الاستفادة منهم كرهائن او في اعمال السخرة اذ يرد :

" هرب الرجال و احتلوا سفح الجبل . و تعقبهم جنودي مثل الطيور ، و كومت اشلائهم في جبل نصير"

(Grayson , 1976, 120)

وهنا تتوضح القسوة المفرطة بالاتي :

١. تعقب الجنود الفارين في الجبال التي احتموا بها.
٢. قتل الجنود الفارين الذين كان من الممكن اسرهم والاستفادة منهم كعبيد.
٣. رمي وتكويم اشلائهم من الجبال اي ان الجنود الاشوريين قاموا برمي جثث المقتولين من اعلى الجبال وتكويمها في السفوح ، ومن الوارد جدا ان قسم من هؤلاء الجنود الفارين وبالأخص الجرحى منهم قد رموا ايضا وهم على قيد الحياة من اعلى الجبل فتكومت جثثهم في سفوحه.
٤. لم تتم عملية دفن جثث هؤلاء الجنود بل بقيت مطروحة في سفوح الجبال.

ومن مظاهر القسوة المفرطة ما ورد في احد النصوص بخصوص مدينة امالي[٤] اذ ورد ما نصه :

" و ملات الشوارع بجثث القتلى و بدمائهم لونت بيوتهم " .

(Olmestead , 1960,89)

ومن خلال عبارة " لونت بدمائهم بيوتهم " يكن استنتاج احد امرين :

١ – اما ان تكون هذه العبارة مجازية تدل على مقدار القتل والتخريب في المدينة الذي وصف بان البيوت قد اصطبغت بلون الدم .

٢ – ان تكون هذه العملية قد جرت بشكل حقيقي وكان الدافع منها اظهار مقدار القسوة الكبيرة على هذه المدينة و سكانها ، وحتى تكون اشارة واضحة لكل من يحاول الخروج مجددا على سلطة الدولة الاشورية و مواجهتها.

ومن صور القسوة المفرطة التي وجدت عند الملك اشور ناصر بال الثاني انه قتل اعداد كبيرة من سكان مدينة أخوني [٥]، وعند مناقشة الفقرة قد يرد عليها ان عملية القتل هي من مستلزمات الحروب ولا تخرج عن – قواعد الاشتباك في المصطلح الحديث –، لكن الإجابة على هذا الاشكال تتضمن ان القتل المشار اليه في النص لم يتم في ساحة المعركة حتى نقول انه في سياق العمليات الحربية بل ان هذا الامر جرى بعد دخول المدينة و السيطرة عليها.

ومن صور القسوة المفرطة التي وردت عن الملك اشور ناصر بال الثاني انه قام بأخذ رؤوس القتلى في احدى معاركه[٦] و نقلها الى مدينة اخرى، حيث يرد :

" و أخذت قسماً من اسراهم و رؤوس قتلاهم الى المدينة الملكية امبدي " . (الراوي ، ١٩٨٦، ١٢٨)

وفي هذا النص يمكن توضيح صورتين من صور القسوة :

الاول : فصل الرؤوس عن اجساد القتلى ، ان هذا الفعل و ان كان معمولا به في المعارك آنذاك الا انه لا يعفى كونه صور من صور القسوة المفرطة و الانتقام و التشفي، ذلك انه يستبطن قطع رؤوس اشخاص بعد التمكن منهم واسرهم .

الثاني : نقل الرؤوس الى مدينة اخرى، وفي ذلك دلالة واضحة على ان السبب من ذلك هو لنقل رسالة للموالين والمعدين للدولة الاشورية ، الموالين: هو تطمين لهم بقدرة الجيش الاشوري على الفتك والنيل بمن يقاتله والمبالغة في تبيان حالة الظفر هذه من خلال نقل الرؤوس لهم ، والاعداء فهو تخويفهم لهم حتى لا يقعوا في نفس المصير الذي وقع به هؤلاء الاشخاص الذين نقلت رؤوسهم لهذه المدينة .

وفي نص اخر يذكر الملك الاشوري انه وفي حملته على اعالي الفرات :
" حول المدن التي استولى عليها الى اكوام خربة " .

(Grayson ,1976, 144)

ومن هذا النص نجد ان صورة القسوة المفرطة تتضمن الاتي : انه قام بعد الاستيلاء على المدن المعادية من تهديمها وتخريبها الى درجة انها اصبحت اكوام من الانقاض التي لا فائدة منها ، وفي ذلك قسوة مفرطة تجاه سكانها ولكن بشكل غير مباشر ، فللوهلة الاولى نجد ان القسوة المفرطة توجهت نحو المنشئآت العمرانية ، لكن لو دققنا اكثر لوجدنا ان ما تبقى من سكان هذه المدن وبعد تحول مدنهم الى انقاض لم يجدوا مكانا يأوون اليه ويحتمون به من حر او برد .

ثانيا – الملك شلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م)

فيما يتعلق الامر بالملك شلمنصر الثالث من جهة القسوة المفرطة يذكر انه قام في احدى حملاته على مجموعة من الممالك [٧] – وهو حاكيا عن نفسه – بالاتي :

"قاتلتهم وهزمتهم وقتلت محاربيهم بالسيف ومثل أدد أمطرت الهلاك عليهم ... وبدمائهم صبغت الجبال مثل الخشب الأحمر".

(Luckenbill,1968,215)

وفي هذا النص تتمثل صور القسوة بالاتي :

١. اصطباغ الجبال بالدم – وهذا يدل بصورة او اخرى – على ان عملية القتل التي قام بها هذا الملك لم تكن تقليدية او مالوفة في الحروب بل تعدى ذلك الى حد اصطباغ الجبال بلون الدم ، وفي ذلك احتمالان :الاول اما ان يكون الوصف مجازيا وهو يحكي عن شدة القتل وكثرته الى درجه

ان الدماء طارت في الهواء وصبغت الجبال ، والثاني : ان يكون واقعيا فعليا ذلك انه ولغرض تبيان مقدار التنكيل في هؤلاء الاقوام فقد تم صبغ الجبال المحيطة بهم بلون دمائهم حتى تظهر مقدار القسوة والبطش الذي يتعرض له اعداء الدولة الاشورية ، وفي ذلك رسالة تخويف وتهديد لمن يفكر في ذلك ايضا .

٢. قتل المحاربين بعد هزيمتهم وهذا يدل على عملية قتل المحاربين بعد التمكن منهم ، ذلك ان النص يذكر ان عملية القتل جاءت بعد هزيمتهم ، وهذا فعل قسوة واضح ذلك انهم حيدوا – بعد هزيمتهم – كجنود يشكلون خطرا على الجيش الاشوري .

وفي صورة قسوة مفرطة اخرى عرف بها هذا الملك انه وفي سنة (٨٤٤ ق. م) توجه في حملة نحو آسيا الصغرى وذكر ذلك في أحد نصوصه انه قام بالاتي :

" صورت منحوتة ملكية لي ونصبتها داخل مدينته ".

(Luckenbill,1968,241)

وهنا نجد صورة القسوة المفرطة متمثلة بما يمكن ان نطلق عليه "القسوة النفسية المفرطة " ، فهذا الملك وامعانا في اذلال سكان هذه المدن واشعارهم بالهزيمة والتبعية ، فقد عمد الى تصوير منحوتة ملكية له ونصبها داخل مدنهم حتى يشعرهم في كل لحظة انهم تابعون له. وقد يرد على هذا الراي ان عمل المنحوتات التي تخلد الانتصارات كان معمولا به في العراق القديم مثل مسلة النسور[٨] و مسلة النصر[٩] فكيف تكون هذه صورة قسوة مفرطة ؟ وللاجابة على ذلك : نجد انه في شق الاعتراض الاول نعم ، اي ان عمل المنحوتات والمسلات التي تخلد حالات النصر كانت معروفة في العراق القديم ، لكن

وضعها في داخل المدينة فهذا شيء جديد مبتدع له اسبابه المتعلقة في ممارسة اقصى درجات الاذلال والتبعية تجاه سكان هذه المدينة كي تشعرهم في كل لحظة – كما بينا ذلك سابقا – انهم تابعون للاشوريين ومهزومين على يدهم وكي لا يفكروا في اعادة التمرد لاحقا .

المبحث الثاني : القسوة المفرطة عند ملوك السلالة السرجونية (٧٢٢- ٦٠٩ ق.م)

سميت هذه السلالة على اسم ملكها الاول سرجون (٧٢٢- ٧٠٥ ق.) وحكم في هذه المدة (٨) ملوك، (باقر ، ١٩٨٦، ٦٣٧) تفاوتت مدد حكمهم ونصوص القسوة المفرطة التي تعلقت بكل واحد منهم ، وسيتم مناقشة مظاهر القسوة عند كل واحد منهم كالاتي :

اولا –الملك سنحاريب (٧٠٥- ٦٨٠ ق.م)

من صور القسوة المفرطة التي وردت عن الملك سنحاريب ما موجود في نص حول حملته على جنوب العراق القديم (المناطق الارامية الكلدية) انه يذكر وبعد حملته المدن والقرى قام بالاتي:

" وسمحت لقواتي ان تاكل الحبوب والتمور في بساتينهم وحصادهم في السهول " .(ساكز ، ١٩٩٩، ١٤٦)

وهنا نجد ان القسوة المفرطة تجاه سكان هذه المدن كانت بشكل غير مباشر ، فالمعروف ان تعريض الناس للمجاعة هو من اقسى حالات القسوة ويمكن التعبير عنه انه " موت بطيء " ، وهذا الفرض قد تحقق فقد قام الجيش الاشوري بالاستيلاء على المواد الغذائية لهذه المدن والقرى ولم يحسب حساب لسكانها ماذا سيأكلون؟!

وفي موضع اخر من نفس النص يرد واصفا المدن التي احتلها :

" لقد دمرت وحطمت (مدنهم) واضرمت النيران فيها واحلتها الى تلال منسية " . (ساكز ، ١٩٩٩، ١٤٦)

ونفس التحليل الذي اوردناه على النص السابق فهو ينطبق على هذا النص ذلك ان القسوة المفرطة وجهت نحو هذه المدن والقرة بعد احتلالها وتم فيها الاتي :

١. تدمير المدن .
٢. تحطيم المدن .
٣. احراق المدن.
٤. تحويلها الى تلال معفية كانها لم تكن مدن فيما سبق.

وكل هذه الإجراءات تعود بالضرر الواضح على سكان هذه المدن الذين لن يجدوا مأوى لهم بعد ذلك ، وفي ذلك اوضح صور القسوة المفرطة التي يمكن لنا ان نتصورها ضد مجموعة سكانية أي انه " موت بطيء " كما عبرنا عنه سابقا او حتى يمكن التعبير عنه " عذاب مؤجل" .

وفي حربه ضد بابل وفيما يتعلق بصور القسوة المفرطة التي وجهت لهم يرد بخصوص ذلك :

" وملات جثث الرجال ساحات بابل ولا يوجد من يدفنها " . (ساكز ، ١٩٩٩، ١٥٠)

وهنا نجد مقدار القسوة المفرطة التي تعرض لها سكان بابل بعد حصار الجيش الاشوري لهم ، وكيف ان الناس كانوا يموتون في ساحات المدينة ولا يستطيعون دفن جثث موتاهم بسبب كثرة عدد لموتى وقلة عدد الاحياء .

و من ابرز صور القسوة المفرطة التي قام بها الملك سنحاريب تجاه سكان بابل ما جرى من نهب وتدمير وحرق معابد المدينة . (ساكز ، ١٩٩٩، ١٥٠) ، ولعل هذا الفعل يعد من اقسى الامور التي يمكن تصور وقوعها على الفرد ذلك ان الانسان بطبعة يفتدي معتقداته الدينية بأغلى ما يملك وهي حياته ، فكيف بالامر لو قمنا بتحطيم هذا المعتقدات والتجاوز عليها امام انظار المؤمنين بها وهم لا يستطيعون فعل شيء تجاه هذا الامر، أي ان القسوة المفرطة التي وجهت لسكان بابل فيما يخص هذا الجانب هي قسوة مفرطة غير مباشرة .

ثانيا – الملك اسرحدون (٦٨٠ – ٦٦٩ ق.م)

ما يتعلق الامر باسرحدون في جانب القسوة المفرطة نجد في نص تركه هذا الملك يذكر فيه :

" ولكن انا اسرحدون ملك اشور ملك الجهات الاربع المحب للحق الكاره للحيل ارسلت جيشي لمساعدة يطع[١٠] الذي تمكن من اخضاع جميع العرب وقيدوا وهب [١١] والمحاربين الذين كانوا معه بالسلاسل وجلبوهم إلى حضرتي في (نينوى) وقد طوقتهم بالقيود امام باب المدينة" .

(Pritchard, 1969, 292)

وهنا نجد صور القسوة كالاتي :

١. جلب الأسرى الى نينوى – وهذا فعل معتاد في الحروب وهو نقل الاسرى من مكان الى اخر – لكن كانت عملية جلبهم الى نينوى مصحوبة بعملية التقييد.
٢. ايقاف هؤلاء المتمردين في باب المدينة وهم مطوقين من اعناقهم ، وبذلك تتحقق صورة القسوة من خلال عدم ادخالهم الى المدينة بشكل مباشر الى

الملك، فقد تم تأخيرهم على باب المدينة وهم مطوقين بالقيود اما لاستعراضهم امام الناس او المبالغة في اهانتهم .

وفي نص اخر يذكر فيه :

" وبأمر من سيدي الاله اشور فقد اقتحمته منتصراً ... ثمانية ملوك [١٢]ذبحتهم من هذه المنطقة وكدست جثث محاربيهم واستوليت على الهتهم وممتلكاتهم واتباعهم وحملتهم إلى بلاد اشور" . (الفتلاوي ، ٢٠٠٦، ١٣٣)

وهنا نجد صور القسوة المفرطة كالاتي :

١. ذبح ثمانية ملوك بيد الملك ، وهذه العملية جرت بشكل اكيد بعد اسرهم لأنه لا يعقل ان يصل الى هؤلاء الملوك احد ويذبحهم الا بعد اسرهم.
٢. تكديس جثث المحاربين بعد قتلهم ، وهذه العملية تستدعي نقل هذه الجثث ورصفها بعضها فوق البعض ، وربما كان هذا المعنى مجازيا ليدل على كثرة الجثث التي تعود الى الاشخاص المقتولين.
٣. الاستيلاء على تماثيل الآلهة وجلبها الى بلاد اشور .

والغريب انه في نفس المعركة عفا الملك اسرحدون عن احد الملوك ولم يتبع معه اسلوب القسوة، اذ يرد بخصوص ذلك :

" ليلي ملك يدع الذي هرب عندما قرب وصول جيشي وسماعه بأنني قد استوليت على الهته جاء إلى نينوى مدينتي الملكية وفي حضرتي قبل قدمي فعطفت عليه وعفوت عنه اما الآلهة التي كنت قد استوليت عليها فقد نقشتها باسم سيدي الإله آشور وارجعتها اليه ونصبته ملكاً على بلاد بازو[١٣] وفرضت عليه اداء الجزية" .

(3. Luckenbill ,1927, no. 538)

ومن هذا النص نجد ان القسوة لم تكن هي السياسة الوحيدة لدى ملوك الدولة الاشورية الحديثة ، بل كان هناك بجنبها سياسة التسامح والعفو في بعض الواقف والتي كان هذا الموقف منها .

وفي حملته على صيدا يذكر اسرحدون :

" وامام جيوشي هرب ملكها عبدي – ملكوتي إلى وسط البحر كأنه سمكه فاصطدته من وسط البحر وقطعت رأسه" .

(Burney ,1977, 198)

وتتجلى صور القسوة في هذا النص بالاتي :اسر الملك بعد مطاردته في البحر وقطع راسه، أي انه تم الظفر به واسره ، ورغم انه اصبح مجردا من كل قوة وتأثير الا انه تم قتله اولا ثم قطع راسه ثانيا ، ولعل الدافع من وراء هذا الفعل هو :

١. الخوف من ان يشكل عامل اثارة للتمرد والثورة على الاشوريين في حالة هربه والتفاف مناصريه وتجمعهم حوله .
٢. كي يكون عبرة وتخويف للملوك الاخرين الذين يفكرون لاحقا في التمرد على الدولة الاشورية او محاربتها او التعاون مع اعداء الاشوريين الاخرين.

وفي حملة له على بلاد الشام يرد الاتي :

" فمنعت عن الساكنين في صور المحاصرة الطعام والماء العذب اللذين يبقيان على الحياة" .

(4.Luckenbill ,1927 no.219)

وهنا تظهر صور القسوة المفرطة بالاتي :

١. حصار سكان مدينة صور .

٢. منع الماء والطعام عنهم ، وقد يرد على هذه النقطة ان الحصار كان من سياقات العمليات العسكرية في ذلك الوقت ، لكن ما نفهمه من سياق النص ولهجته يشعرنا ان عملية الحصار كان السبب من ورائها هو لمنع المياه والغذاء " الذي يبقي الحياة " وليس الهدف منه اضعاف عزيمة المحاصرين، أي ان العملية كان الهدف منها هو قتل سكان المدينة وليس فتح المدينة وحده .

وقام اسرحدون بشن حملة عام ٦٧٩ق.م ضد الكمريين[١٤] ، اذ يذكر في النص انه :

" قطعهم بالسيف" و" داس على اعناقهم" (4. Luckenbil, 1927 ,no.206)

وهنا تتضح القسوة تجاه هؤلاء بالاتي :

١. تقطيعهم بالسيف ، علما ان القتل عادة يكون بضربة او اثنين بالسيف الا انه في هذا الموضع نستشف منه طبيعة القسوة والتشفي والانتقام من خلال مفردة " تقطيع " التي تدل على المبالغة في القطع والتلذذ به .

٢. الدوس على الاعناق ، وفي كلا الاحتمالين اذا كان المعنى مجازي فهو يدل على شدة القسوة المتبعة معهم ، واذا كان حقيقي أي ان عملية الدوس كانت فعلية فهذه قسوة وتشفي وانتقام منهم ومبالغة في الإذلال والاحتقار الموجه لهم .

ثالثا- الملك اشور بانيبال (٦٦٨- ٦٢٧ ق.م)

عند مناقشة مظاهر القسوة المفرطة عند الملك باشور بانيبال نجد العديد من المعطيات المتعلقة بالقسوة المفرطة ، ففيما يخص حملة له على مدينة كربت[١٥] يرد في احد كتاباته حول عدد من القرى :

" اما زعيمهم فذبحته و طعنت محاربيه بسيفي " .(الدوري ، ٢٠٠١، ٧٢)

وهنا نجد القسوة المفرطة كالاتي : ذبح زعيم هذه القرى ، وعملية الذبح هذه تستلزم اسر الملك والتمكن منه ثم ذبحه ، اي ان القتل لم يكن بقصد القتل بل بقصد التشفي والانتقام . ومن خلال هذه القسوة المفرطة نجد ان السبب في ذلك يتعلق بما قام به سكان مدينة الدير[١٦] من شكوى لهذا الملك حول تعديات سكان مدينة كربت عليهم . (الدوري ، ٢٠٠١، ٧١)

و من صور القسوة المفرطة الاخرى عند الملك اشور بانيبال انه قام بعد استيلائه على مدينة كريب بما يذكره النص :

" القادة " الحكام " ارسلتهم اليهم استولوا على كريب ، نقلوا هؤلاء السكان ، سكان هذا المدن التي استوليت عليها بيدي ، نقلتهم بعيداً و اسكنتهم في مصر " .(Piepkom ,1933,48)

ونحن كما بينا في منهجية البحث سابقا لم نعد التهجير القسري من صور القسوة كونه نظام معمول به في الحروب آنذاك، لكن ما دفعنا الى ايراد هذا التهجير كصورة من صور القسوة هذه الحالة فمن خلالها نجد مقدار القسوة المفرطة ان هؤلاء لم يتم نقلهم الى العاصمة نينوى او مناطق اخرى قريبة داخل الامبراطورية بل تم ابعادهم الى اخر نقطة في الامبراطورية الاشورية وهي مصر .

وفيما يخص الحملة على بلاد الميديين[١٧] يذكر انه تم اسر امراء ومن ثم نقلوا الى مدينة نينوى ، و الى هذا الحد لا توجد قسوة لكن بعض المصادر تذكر انه قد تم قتلهم هناك .(الدوري ، ٢٠٠١، ٩٥)

وعادة فان الاسرى يتم تهجيرهم الى مدينة نينوى ويتم الاستفادة منهم في اعمال مختلفة ، اما ان يقتلوا بعد ان يهجروا الى مدينة نينوى فهذه قسوة زائدة عن الحد. و في ما يتعلق بالحملة على اورارتو يرد ما يأتي :

" انداريا حاكم ارينيا (اوراورتو) الذي تقدم ليهزم مدينتين ابوسو و كولميري ، سرت لمواجهته في منتصف الليل و قتلت الساكنين في كولميري ، و قطع التابعون لي رأس اندريا و اتو به امامي في نينوى " .

(Piepkom ,1933,56)

وعلى هذا الاساس وبعد تحليل هذا النص نجد ان صور القسوة المفرطة فيه هي :

١. قطع راس حاكم احد المدن وهذا القطع لم يكن ليتم الا بعد اسره او التمكن منه.

٢. نقل هذا الراس من منطقته الى مدينة نينوى حيث العاصمة الملكية ةاستعراضه من قبل الملك اشور بانيبال .

وفي الحملة الثانية على بلاد عيلام يذكر الملك اشور بانيبال:

" اكتسحت بلاد عيلام بأجمعها كالإعصار الهائج و قطعت رأس ملكهم تيومان الشخص المضحك الذي ملء الشرور و ذبحت عدد لا يحصى من مقاتليه و اسرت اعداد كبير و جعلت دمائهم كالسيل في نهر اولاي ، الذي جرت مياهه فصارت كالصوف المصبوغ " .(الدوري ، ٢٠٠١، ١٠٣)

و من خلال هذا النص نجد صورة القسوة كلاتي :

١ – قطع رأس الملك تيومان

٢ – ذبح عددا لا يحصى من مقاتليه و المعروف ان عمله الذبح اختلفت عن عملية قطع الرأس ، فقطع الرأس تتم بعد القتل اما الذبح فهو عملية يتم من

خلالها القتل اي ان الموت يكون بسبب عملية الذبح ، والمعروف ان كل عملية انتقام بعد القتل هي قسوة وتمثيل بالجثة .

٣ – قتل الاسرى بعد اسرهم .

٤ – رمي جثثهم في الماء .

٥ – اصطباغ الماء باللون الاحمر دلاله على كثرة عدد من قتل .

وفيما يخص حملته على قبيلة الكيمبولو[١٨] يرد الاتي :

" خلال عودتي (من عيلام) توجهت لحرب " دوناتو " ابن " بيل – امنيشا " ملك الكيمبولو الذي وثق بعيلام دخلت تلك المدينة ، ذبحت سكانها مثل الخراف ... قائد مشاة تيومان ، الذي ساعد كميبولو ... قضيت على حياته و قطعت رأسه امام دوناتو ، الذي لم ينقذه " .

(Piepkom, 1933, 71-73)

وصور القسوة المفرطة في هذا النص تتجلى بالاتي :

١. ذبح سكان المدينة كالخراف والقسوة في عملية القتل هنا تتجلى في امرين الاول : قتل السكان بعد الاستيلاء على مدينتهم اي ان القتل لم يكن في سياق العمليات العسكرية، والثانية عملية القتل الجماعي التي تعرض لها سكان المدينة.

٢. قطع راس احد قادة الملك تيومان وعملية القطع هذه جاءت بعد قتله فلو كان قطع الراس سببا في قتله لقال : "وذبحته" .

وهنا نجد ان القسوة والتدمير قد وجهت الى السكان والقادة والمنشئات العمرانية في المدينة في ان واحد . وقد قام اشور بانيبال بتعليق رأس تيومان المقطوع حول عنق دونانو[١٩] الذي اقتيد امام حشود الاشوريين المحتفلة بالنصر في مدينة نينوى ثم اعدم امام الجماهير الاشورية. (الراوي ، ١٩٨٤، ١٠٨)

و من صور القسوة التي نستشفها من هذا النص هي :

١ – تعليق رأس تيومان في عنق دوناتو ملك الكيمبولو .

٢ – اعدام دوناتو بعد اسره.

علما ان كل هذه القسوة ظهرت بشكل جلي تجاه الحكام الذين تم اسرهم بعد هزيمتهم في المعركة امام الملك اشور بانيبال وجيشه .

و في نص اخر يذكر اشور بانيبال ما يأتي :

" ... قطعت لسان مانوكياخي الضابط عند دوناتو الرجل المنصب على بلاد الكمبولو الذي قال محتقرا الهتي ، مزقتهم في اربيل و سلخت وجوههم و في نينوى ذبحت دوناتو مثل الخروف و عرضت جلده على المنضدة ، الأخوة الاخرون لدوناتو قتلتهم وعرضت اجسادهم في البلاد ابناء نانو – شوم – ارش الذي كان ابوه قد اقنع اورناكو بمهاجمة بلاد اشور ، نقلت عظامه من بلاد الكمبمولو الى بلاد اشور و سحقت ابنائه امام البوابة في وسط نينوى "

(2. Luckenbill ,1968, no. 788)

ان من ابرز صور القسوة في هذا النص هي :

١. قطع لسان احد الضباط الذي يعمل لدى احد الحكام .
٢. تمزيق هؤلاء الحكام .
٣. سلخ الوجوه لهؤلاء الحاكمين .
٤. عرض الاجساد امام الحشود المتجمعة .
٥. ذبح احد الحكام كالخروف.
٦. نبش قبر احد الاشخاص.
٧. نقل عظامه الى نينوى.
٨. سحق ابناء هذا الشخص.

وهنا نجد ان النص مليء بصور القسوة المفرطة تجاه هؤلاء الجهات المعادية للاشوريين ، ولعل السبب الذي دفع الملك لهكذا قسوة مفرطة هو :

١. نتيجة تمرد هؤلاء ضد الدولة الاشورية والتمادي في الحرب ضد جنود المملكة الاشورية الحديثة .
٢. ان تكون صورة ابلاغ دامغة لكل شخص يفكر في حرب او تمرد ضد الدولة الاشورية .

ويذكر اشور بانيبال انه بعد انتصاره على تمرد شمش شم اوكن[٢٠] قام بما يأتي:

" هؤلاء الرجال وتلك الافواه التي اطلقت الكلام السيء ضد الاله اشور ، و تآمروا بالشر ضدي ، قطعت السنتهم و اتيت بهم خاضعين كما قطعت اجساد هؤلاء السكان و ارسلتها الى الجحيم ، و اطعمت اجسادهم للكلاب و الخنازير و الذئاب و النسور و طيور السماء و اسماك الاعماق " (الدوري ، ٢٠٠١، ١١٩)

ومن خلال هذا النص نجد ان الدافع من وراء هذه القسوة هو :

١ – تمرد هؤلاء الاشخاص

٢ – تجاوزهم على الاله اشور

اما ابرز صور القسوة المفرطة التي يمكن استخلاصها من هذا النص فهي :

١. قطع الالسنة.
٢. تقطيع الاجساد.
٣. اطعام الكلاب والنسور والخنازير والذئاب من اجسادهم ، وربما كانت هذه العملية من خلال اما تركهم عندها فتأكلهم او عدم دفن جثثهم فأكلتها هذه السباع .

٤. رمي جثثهم في الماء او انهم بعد قتلهم القيت جثثهم في الماء او انهم ماتوا غرقا اثناء الهرب ، وكل هذه الامور ادت بهم الى ان تأكل الاسماك من جثثهم.

ومن صور القسوة المفرطة لهذا الملك يرد في هذا النص :

" اما اولئك الذين فقدوا حياتهم خلال المجاعة و العوز ، فقد ملات اوصالهم المقطعة الشوارع و الحارات ، و تركت اشلاؤهم للكلاب والخنازير " .

(2. Luckenbill. 1968 .no. 800)

ولتوضيح صور القسوة المفرطة نجد الاتي :

١. تقطيع اوصال الاشخاص الذين ماتوا في المجاعة ، فبدلا من دفن جثثهم قام الاشوريين بتقطيع اوصالهم .

٢. لم يقم الاشوريين بدفن جثث الموتى الذين ماتوا بفعل المجاعة ، او سمح للآخرين بدفنها بل تم تركها تؤكل من قبل الكلاب و الخنازير .

ومن صور القسوة المفرطة عند الملك اشور بانيبال ما جرى في الحملة السابعة على بلاد عيلام سنة ٦٤٥ ق. م اذ تعرصت مدينة "بيت _ امين" الى حالة مفرطة من القسوة تمثلت في الامعان في قتل سكانها ، ثم نقل القسم الاخر الى بلاد اشور – ليس للاستفادة منهم ومن خبراتهم كما جرت العادة عند تهجير سكان البلدان المفتوحة– بل كان الهدف من ذلك:

" كي يعرضوا على اهل اشور " (الدوري ، ٢٠٠١، ١٢٢)

و في ذلك حالة مفرطة من القسوة عليهم من خلال الامعان بإذلال سكان المدينة المفتوحة و التشفي بهم الى ابعد الحدود ، فضلا عن قائد مدينة "بيت – امين" الذي وقع في الاسر فقد قيد بالسلاسل ونقل ايضا الى بلاد اشور للغرض نفسه. وفي الحملة الثامنة على بلاد عيلام يرد ما يأتي :

" فلقد قمت بإحراق تلك المدن و عمل سيفي في رقاب محاربي الملك المهزوم "

(2. Luckenbill,1968, no. 808)

وهنا نجد ان القسوة المفرطة قد وجهت لسكان هذه المدن وذلك بشكل غير مباشر من خلال حرق المدن وبذلك ينعدم وجود ملاذ امن لسكانها او مقومات عيش ملائمة لهم .ومن صور القسوة التي وجهت نحو المعابد و الالهة يرد :

" لقد دمرت زقورات معبد سوسة ... كما احرقت ابراجه المستطيلة المغطاة بالبرونز و نقلت الى بلاد اشور اله الكهانة في عيلام – شوشيناك – ... لقد دمرت معابد عيلام تدميراً كاملاً و نثرت الهتها مع الرياح الهابة من الجهات الاربع "

(الدوري، ٢٠٠١، ١٢٦)

وهنا نجد ان صور القسوة المفرطة تجاه المعابد والالهة في مدينة سوسة عاصمة بلاد عيلام تستبطن قسوة مفرطة غير مباشرة للسكان لاننا نجد عند تحليل النص الاتي :

١. تدمير زقورات معبد سوسة.
٢. احراق ابراجه المستطيلة .
٣. نقل اله الكهانة العيلامية انشوشناك الى نينوى .
٤. تدمير معابد عيلام تدميرا كاملا .
٥. نثر الالهة مع الرياح ، وربما كان ذلك بعد تحطيم تماثيل هذه الالهة وسحفها ثم نثرها في الهواء .

اي انه تم التعدي على اقدس ما يعتقد به سكان عيلام وهو الالهة ومعابدها، وفي ذلك قسوة مفرطة واضحة وان لم تكن بشكل مباشر قد وجهت للسكان .

و يستمر النص في ذلك :

" و حرق جنودي البساتين ... اما انا فقد نبشت قبور ملوكهم الغابرين و اللاحقين لانهم لم يحترموا اشور و عشتار ... اما عظامهم فقد حملتها الى بلاد اشور بعد ان تركت ارواحها من دون راحة الى الابد"

(2.Luckenbill ,1968,no. 810)

وعند تحليل صور القسوة والتدمير في هذا النص نجد انها موجهة نحو منشئات زراعية وعمرانية وملوك وكالاتي :

١. حرق البساتين
٢. نبش قبور الملوك
٣. حمل العظام الى بلاد اشور
٤. ايذاء ارواح الملوك الغابرين بنقلها من قبورها .

وكان السبب في ذلك كما ذكره النص هو لانهم " لم يحترموا الاله اشور وعشتار " ، اي ان الملك برر قسوته المفرطة تجاههم بتبرير ديني .

و يرد في نص للملك اشور بانيبال حول نابو–بيل – شوماني (حفيد مردوخ بلادان) [٢١] ما نصه :

" ارسلت في طلبه ، و لكنه عند سماعه بالخبر امر مرافقه و حاميه ان يقتله فضرب احداهما الاخر بخناجرهم الحديدية وماتا "

(2.Luckenbill,1968,no. 815)

وهنا نستشف مقدار القسوة التي كانت موجودة عند الملك اشور بانيبال التي دفعت هذا الحاكم الى الانتحار خوفا من الوقوع في اسر هذا الملك ، وعندها امر اشور بانيبال :

"بعدم دفن الجثة ، و قطع رأس نانو _ بيل _ شوماني و علقه حول عنق اخيه الاسير جزاء لخيانته "

(2.Luckenbill,1968,no. 815)

و هنا نجد ان القسوة المفرطة قد وجهت الى الاخوين كلاهما و كالاتي :

١. المقتول بعد ان لم تدفن جثته .
٢. قطع رأسه .
٣. الاخ الاسير بعد ان علقت في عنقه رأس اخيه المقتول .

و من صور القسوة المفرطة الاخرى ما تعرض له امولادي ملك قبيلة قيدار وعديا زوجه اوتبع ملك العرب الذين وقعا اسيرين في معركة ضد اشور بانيبال " وارسلا مقيدين بالقيود الى اشور حيث عوملا بقسوة " (الهاشمي ، ١٩٧٨، ٥١٨)

ومن صور القسوة غير المباشرة التي تعرض لها اعداء الملك اشور بانيبال فيما يرد في احد النصوص:

" اما الذين نجوا من الموت ووصلوا الى بابل فقد وقعوا فريسة للمجاعة حتى اكل بعضهم لحم بعضهم الاخر من شدة الجوع " (الدوري ، ٢٠٠١، ١٣٠)

وفي هذه صورة مفرطة من صور القسوة تصل الى حد اكل الانسان لحم اخيه الانسان بفعل الحصار الذي فرضه الملك اشور بانيبال وربما تكون هذه القسوة المفرطة من النوع غير المباشر .

و في نص اخر يذكر الملك اشور بانيبال :

" اما الذين هربوا امام اشور بانيبال ليحتموا بالجبال ، فقد وقعوا فريسة للجوع و العطش حتى اجبروا على بقر بطون الجمال و شرب دمائها و مائها الوسخ من شدة العطش " . (الدوري ، ٢٠١١ ، ١٣١)

وهنا نجد ان القسوة المفرطة في هذا النص من النوع غير المباشر فقد دفعت هؤلاء الاشخاص الى الهرب الى الجبال ثم وقعوا ضحية الجوع والعطش

وفي اثناء عودة اشور بانيبال من حملته ضد العرب (التاسعة) قام بإخضاع مدينتي اوشو و اكو[٢٢] حيث قتل عدد كثيراً من سكانها ، و :

"علق جثث هؤلاء السكان على الاعمدة حول المدينتين " .

(2. Luckenbill,1968,no. 830)

وهنا نجد صورة القسوة من خلال:

١. قتل عدد كبير من السكان
٢. تعليق جثث السكان حول الاعمدة في المدينتين

ويذكر نص يعود الى الملك اشور بانيبال فيما يخص مصير" ايتان و ايمو" ابناء "امري"الذين حاربوه في هذه الحملة فأنهم ارسلوا الى نينوى حيث جرى قتلهم في العاصمة الاشورية (الدوري ، ٢٠٠١، ١٣٢) ، و في هذه الحادثة قسوة مفرطة واضحة لأنهم اسرى و تم نقلهم الى مدينة اخرى ثم قتلوا فيها .

الاستنتاجات

بعد اكمال البحث يمكن استخلاص ابرز النتائج التي وردت فيه :

١. حفلت النصوص المسمارية لملوك الدولة الاشورية الحديثة بالعديد من صور القسوة المفرطة تجاه الافراد والجماعات، بل المنشئآت والمدن وما فيها من بنايات دينية ودنيوية وآلهة وحتى ارواح موتى وذلك بعد نبش قبورهم وحمل عظامهم الى مدن اخرى.
٢. لم تكن القسوة وحدها هي السياسة التي استخدمها ملوك الدولة الاشورية الحديثة ، بل كانت هناك حالات تسامح لهم مع بعض الاعداء الذين كانوا

يحاربونهم ، وهذا يفسر اهمية البحث في هذا الموضوع وهو " القسوة المفرطة " اذ انه يقدم الاسباب والدوافع لاتباع هكذا اسلوب تجاه الافراد والجماعات الذين توجه لهم هذه القسوة المفرطة .

٣. تم التفريق بين صور القسوة المفرطة المستخدمة اثناء الحروب وبين اساليب القسوة المعتاد استخدامها في الحروب آنذاك، فالمعروف ان القتل في المعارك هو امر طبيعي وهو من مستلزمات الحروب ، لكن القتل بعد الاسر او بعد التمكن من الافراد والجماعات هذا يستبطن قسوة مفرطة ، كما ان قطع الراس بعد الاسر يخضع لنفس الضابطة ، وان التهجير القسري امر معروف وهو من مستلزمات الحوب و " قواعد اشتباكها" لكن ما يؤشر لحالة القسوة المفرطة هو حالة التهجير لاقصى بقعة في الامبراطورية الاشورية ، وهنا نجد انها مبالغة في عملية التهجير القسري فيمكن تهجيرهم الى العاصمة الاشورية للاستفادة من خبراتهم وجهودهم او نفيهم لاقاليم مجاورة لاقاليم بدانهم المفتوحة ، فضلا عن قطع الالسنة واطعام الجثث للكلاب و الاسماك والضواري الاخرى ، فهذه كلها عمليات مفرطة بالقسوة ، ولا تخضع للقواعد المتبعة في الحروب انذاك .

٤. عرف الملك اشور بانيبال بانه كان اكثر ملوك الدولة الاشورية الحديثة اتي وصلتنا منه صور قسوة تجاه اعدائه، وربما يعود ذلك اما : لكثرة النصوص التي وصلتنا منه، او لكثرة الحروب التي خاضها، او لطبيعة شخصيته المفرطة بالقسوة .

٥. تنوعت صور القسوة الموجهة ضد اعداء ملوك الدولة الاشورية بين الحرق والقتل بعد الاسر وقطع الرؤوس بعد الاسر وتعليقها في رقاب الاحياء ونبش القبور ونقل رفات الموتى الى مدن اخرى .

٦. كان من اهم اسباب استخدام القسوة من قبل ملوك الدولة الاشورية الحديثة هو اشاعة الرعب في نفوس اعدائهم حتى لا يقوموا بأعمال تمرد في المستقبل ، او انه يكون بدافع الانتقام والتشفي، او يكون بدافع الحقد الدفين على هؤلاء نتيجة لما اوقعوه بالدولة الاشورية من خسائر نتيجة حروبهم التي خاضوها ضد الدولة الاشورية .

٧. ورد في بعض النصوص حالات من القسوة يمكن ان نطلق عليها "القسوة المفرطة بصيغة المبالغة او المجاز " ، مثل: اصطباغ لون النهر بدماء القتلى، او تلوين البيوت بدماء القتلى، او وان القتلى لا يمكن احصاء عددهم . وهذا لا يمنع ان هذه العبارات تنطوي في طياتها على صور قسوة مفرطة بدليل ما تم التعبير عنه في هذه النصوص .

الملاحق :

جدول بحالات القسوة المفرطة

ت	من وقعت عليه القسوة المفرطة	القائم بالقسوة المفرطة	نوع القسوة المفرطة
١	سكان مجموعة من الممالك	شلمنصر الثالث	صبغ الجبال بدمائهم
٢	سكان مدينة زامو	اشور ناصر بال الثاني	تقطيع الرؤوس بالسيف بعد الاسر ، احراق الشباب والشابات بالنار
٣	بوبو ابن بويا حاكم مدينة نيشتون	اشور ناصر بال الثاني	سلخ جلد احد الحكام ، تعليق جثته على جدران المدينة
٤	خوليا حاكم مدينة	اشور ناصر	سلخ جلد الحاكم بعد اسره ، تعليقه

	دامداموسا	بال الثاني	على جدران المدينة
٥	سكان مدينة امالي	اشور ناصر بال الثاني	ملء الشوارع بجثث القتلى ، تلوين البيوت بدمائهم
٦	سكان احدى المدن	اشور ناصر بال الثاني	فصل الرؤوس عن الاجساد بعد الاسر ، نقل قسم من رؤوس القتلى الى المدينة الملكية اميدي
٧	سكان المناطق الكلدية في جنوب العراق	سنحاريب	موت بطيء من خلال الاستيلاء على المواد الغذائية ومحاصيل الحبوب عند حصادها
٨	سكان المناطق الكلدية في جنوب العراق	سنحاريب	تحطيم وتدمير المدن ما ادى الى تشريد السكان
	سكان بابل	سنحاريب	موت الناس بشكل عجزوا عن دفن موتاهم بفعل الحصار
٩	ثمانية ملوك – المحاربين	اسرحدون	ذبح هؤلاء الملوك ، تكديس جثث المحاربين وحملهم إلى بلاد اشور
١٠	عبدي – ملكوتي ملك صيدا	اسرحدون	قطع الراس بعد الاسر
١١	الكمريين	اسرحدون	تقطيعهم بالسيف" ، داس على اعناقهم
١٢	زعيم مدينة كربت	اشور بانيبال	ذبح الزعيم
١٣	امراء بلاد الميديين	اشور بانيبال	قتلوا بعد نفيهم الى نينوى
١٤	اندريا حاكم ارينيا (اوراورتو)	اشور بانيبال	قطع رأس اندريا ، الاتيان به الى نينوى

١٥	تيومان ملك عيلام – مقاتليه	اشور بانيبال	قطع رأس ملكهم تيومان ، ذبح عدد لا يحصى من مقاتليه ، قتل الاسرى بعد اسرهم ، رمي جثثهم في الماء، اصطباغ الماء باللون الاحمر دلاله على كثرة عدد من قتل
١٦	" دوناتو " ابن " بيل – امنيشا " ملك الكيمبولو	اشور بانيبال	تعليق رأس تيومان المقطوع حول عنق دونانو الذي اقتيد امام حشود الاشوريين المحتفلة بالنصر في مدينة نينوى ثم اعدم امام الجماهير ، الذبح مثل الخروف و عرض جلده على المنضدة .
١٧	قائد مشاة تيومان ملك عيلام	اشور بانيبال	قطع رأسه بعد قتله امام دوناتو
١٨	سكان عيلام	اشور بانيبال	ذبح سكانها مثل الخراف
١٩	مانوكياخي الضابط عند دوناتو	اشور بانيبال	قطع اللسان
٢٠	افراد من قبيلة الكمبيلو	اشور بانيبال	سلخ وجوههم
٢١	الأخوة الاخرون لدوناتو	اشور بانيبال	قتلتهم بعد اسرهم ، وعرض اجسادهم في البلاد
٢٢	ابناء نانو – شوم – ارش	اشور بانيبال	سحقهم امام البوابة في وسط نينوى
٢٣	نانو – شوم – ارش / الميت	اشور بانيبال	نقل عظامه من بلاد الكمبمولو الى بلاد اشور
٢٤	قسم من سكان بابل ممن ثاروا مع مردوخ بلادان	اشور بانيبال	قطع السنتهم و جلبهم خاضعين ، تقطيع اجسادهم ، اطعام اجسادهم للكلاب و الخنازير و الذئاب و النسور و طيور

			السماء و اسماك الاعماق
٢٥	ملوك عيلام / الميتون	اشور بانيبال	نبش القبور ، نقل عظامهم الى بلاد اشور بعد ان تركت ارواحها من دون راحة الى الابد
٢٦	نابو-بيل – شوماني (حفيد مردوخ بلادان)	اشور بانيبال	عدم دفن جثته – بعد موته انتحارا خوفا من عقوبة الملك اشوربانيبال- ، تعليق راسه حول عنق اخيه الاسير .
٢٧	سكان مدينتي اوشو و اكو	اشور بانيبال	تعليق جثث هؤلاء السكان على الأعمدة حول المدينتين بعد قتلهم وهم اسرى .

المصادر

العربية والمعربة :

- باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦ ، ج١.
- باقر ، طه ، علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب، سومر ، مج٥ ، ج٢ ،بغداد، ١٩٤٩م.
- الدوري ، رياض عبد الرحمن ، اشور بانيبال ٦٦٩- ٦٣٧ ق.م سيرته ومنجزاته ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١ .
- الراوي ، شيبان ثابت ، اشور ناصر بال الثاني ٨٨٣- ٨٥٩ ق.م سيرته واعماله ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، قسم الاثار ، ١٩٨٦ .
- الراوي ، فاروق ، معارك النصر : سجلاتها في الكتابات المسمارية ، مجلة بين النهرين ، بغداد ، ١٩٨٤ .

- رو، جورج، العراق القديم، ترجمة :حسين علوان، بغداد ، ١٩٨٤ .
- ساكز ، هاري ، قوة اشور ، ترجمة : عامر سليمان ، بغداد ، المجمع العلمي العراقي ، ١٩٩٩.
- الفتلاوي ، احمد حبيب ، اسرحدون ٦٨٠ – ٦٦٩ ق . م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة واسط ، قسم التاريخ ، ٢٠٠٦ .
- الهاشمي ، رضا جواد ، العرب في ضوء النصوص المسمارية ، مجلة كلية الآداب ، العدد٢٢، بغداد ، ١٩٧٨.

الاجنبية :

- Burney, C, From Village to empire , oxford ,1977 .
- Gelb, I, J, and others, The Assyrian Dictionary of the oriental Institute of the university of Chicago, 1959.
- Grayson, A. K . Assyrian Royal inscriptions , , vol. 2 , Wiesbaden , 1976 .
- Luckenbill, D, D, Ancient Records of Assyria and Babylonian, Vol. I ,London, 1968.
- Luckenbill, D, D, Ancient Records of Assyria and Babylonian, Vol. II , London, 1968.
- Luckenbill, D, D, Ancient Records of Assyria and Babylonian, Vol. I , New York, 1927.
- Luckenbill, D, D, Ancient Records of Assyria and Babylonian, Vol. II, New York, 1927.
- Olmestead , A. T. , History of Assyria , Chicago , 1960.
- Piepkom, Historical Prism Inscriptions of Ashurbanipal, London ,1933.
- Pritchard, Ancient Near Eastern Texts Relating to the old Testament , New Jersey, 1969.

- The Cambridge Ancient History,Vol.3,London , 1976.

الهوامش:

[١] زاموا : هي منطقة شهرزور في السليمانية . ينظر :(Luckenbill, 1968 ,155)

[٢] نشتون : مدينة لا يعرف موقعها بالضبط تقع في منطقة اروميه شمال غرب ايران .ينظر :

(CAH ,1976, 12)

[٣]مدينة دامداموسا : مدينة تفع في جبال طور عابدين جنوب شرق تركيا . ينظر :(الراوي ، ١٩٨٦، ٩١)

[٤] امالي : مدينة تقع في سهل شهرزور . ينظر : (الراوي ، ١٩٨٦ ، ١٠٠)

[٥] اخوني : مدينة تقع في حوض الفرات الاعلى .ينظر : (الراوي ، ١٩٨٦، ١٢٣)

[٦] وهي الحملة العاشرة سنة ٨٦٦ ق.م التي استهدفت منطقة اعالي الفرات . ينظر : (الراوي ، ١٩٨٦، ١٢٦)

[٧] الممالك هي : سمأل وملكها "حيانو" وبتين أونقي وملكها "سبالولمي" وكركميش وملكها "سنغارا ". ينظر :

(Pritchard, 1969 ,277)

[٨]مسلة النسور : وهي مسلة تعود الى اياناتم (٢٤٧٥ . ٢٤٤٥ق.م) الملك الخامس لدولة لكش الاولى وفيها خلد فيها انتصاره على دولة اوما .ينظر : (باقر ، ١٩٨٦، ٣١٨)

[٩] مسلة النصر: وهي مسلة تعود الى نرام سين (٢٢٩١- ٢٢٥٥ ق.م) الملك الرابع للدولة الاكدية وفيها خلد معاركه مع اللوللوبين في الجهات الشرقية من جبال زاكروس . ينظر : (باقر، ١٩٨٦، ٣٧١)

[١٠] يطع : هو ابن حزائيل ملك قبيلة قيدار التي تقع مساكنها قرب تدمر في سوريا . ينظر : (باقر، ١٩٤٩، ١٥٧)

[١١] وهب : وهو قائد قام بتحريض العرب للثورة ضد يطع ملك قبيلة قيدار . ينظر : ANET.P.292.

[١٢] هؤلاء الملوك هم : "قيسو ملك مدينة خالديسي واكبرو ملك مدنية البياتي ومنساكو ملك مدينة ماجالاني ويابا ملكه مدينة دخراني وحابيسو ملك مدينة قادابا ونيخارو ملك مدينة جعفاني وبسلو ملكة مدينة اخيلو وخبانا مرو ملك مدينة بودا " . ينظر : (2. Luckenbill,1968, no.538)

[١٣] بلاد بازو : " او (باصو) طبقا للوثائق الاشورية هو بلد بعيد يقع بعد الصحراء الملحية والاراضي الرملية" الى الجنوب الغربي من بلاد اشور : ينظر :(الفتلاوي ،2006 ، ١٣٢)

[١٤] الكميريون : شعوب مترحلة قدمت من جنوب روسيا . ينظر : (رو، ١٩٨٤ ، ٤٣٥)

[١٥] مدينة كربت : مدينة تقع في منطقة جبال زاكروس . ينظر : (الدوري ، ٢٠٠١، ٧١)

[١٦] الدير : وتسمى ايضا دور ايلو تقع اطلالها قرب مدينة بدرة الى الشرق من محافظة واسط . حول مدينة الدير ينظر :(باقر ، ١٩٨٦، ٤٢٣)

[١٧] الميديون : قبائل آريه مواطنها في الجبال الممتدة بين بلاد الرافدين وبلاد عيلام . ينظر : (باقر ، ١٩٨٦، ٣٨٩)

[١٨] الكيمبولو : هي احدى القبائل الارامية السكنة جنوب العراق في منطقة الاهواز وقد كانت حاجزا بين القسم الجنوبي من العراق القديم وبلاد عيلام . ينظر : (الدوري ، ٢٠٠١، ١٠٣)

[١٩] دوناتو : هو شيخ قبيلة الكمبيلو . ينظر : (الدوري ، ٢٠٠١ ، ١٠٢)

[٢٠] هو اخ الملك اشور بانيبال . ينظر : (ساكز ، ١٩٩٩ ، ١٦٢)

[٢١] مردوخ بلادان : ثائر بابلي استقل في بابل وحارب الاشوريين زمن الملك سنحاريب . ينظر : (باقر ، ١٩٨٦، ٥١٨)

[٢٢] وهما مدينتان تقعان على ساحل البحر المتوسط في فلسطين . ينظر : (الدوري ، ٢٠٠١ ، ص ١٣٢)